

# اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته بقيام الليل

وقد كان السلف -رحمهم الله تعالى- يعتنون بقيام الليل، وقد ودتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فإن الله تعالى أمره بقيام الليل فكان يمثل ذلك. أمره في أول ما أنزل عليه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ فُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ اثْقَلُهُ أَوْ رَدْ عَلَيْهِ وَرِيلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}؛ فامثل ذلك، فكان يقوم أكثر الليل. وكذلك أيضاً صاحبته -رضي الله عنهم- يقومون مثل ما يقوم، أو قريباً منه، قال الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَذْنَى مِنْ نُشُّي اللَّيْلِ} -أي- قريباً من {نُشُّي اللَّيْلِ} {وَنِصْفَهُ وَتُلَيْهِ} -أي- وتقام نصفه أحياناً، وتقوم ثلثة؛ فكان هذا دأبه. ثم قال: {وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ} -أي- كان هذا عملهم. فكان -صلى الله عليه وسلم- يصلي نصف الليل، أو ثلث الليل على الأقل، أو ثلثيه؛ إمتنالاً لهذا الأمر: {فُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} . حفظ عنه كما في حديث ابن عباس لما بات عند خالته قال له أبوه: اذهب فبت عند خالتك ميمونة في الليلة التي يكون فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- عندها. يقول ابن عباس {فَلَمَّا كَانَ نَصْفُ اللَّيْلِ، أَوْ قَبْلَهُ بَقْلِيلٍ، اسْتِيقْطَنَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَرَأَ الْعِشْرَ الْآيَاتِ مِنْ أَخْرِ سُورَةِ الْأَعْمَارِ} وهي قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ} ثم إنه قام وتوضأ. يقول ابن عباس فكبير. ثم قال ابن عباس {قَمَتْ، وَتَوَضَّأَتْ، وَكَبَرَتْ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ} يقول: {فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ} ذكر أنه صلى ثلاثة عشر ركعة، يسلم من كل ركعتين، والثالثة عشر هي الوتر؛ الركعة الأخيرة. يقول: {ثُمَّ اضطَجَعَ قَلِيلًا حَتَّى أَذْنَ الْفَجْرِ} ؛ يعني: أنه مكث نحو خمس ساعات، أو ست ساعات وهو يصلي. ولا شك أنه قد يحس بشيء من التعب؛ فاضطجع قليلاً ليريح نفسه، فلما أذن قام وصلى ركعتين خفيتين؛ وهما سنة الفجر، ثم خرج إلى الصلاة. فحفظ ابن عباس عنه: أنه صلى ثلاث عشرة ركعة في تلك الليلة، وأنه قضاها في نحو نصف الليل، أو ثلثة، أو ثلثيه. وهذا تطبيق لما أخبر الله تعالى، أو لما أمره به: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَذْنَى مِنْ نُشُّي اللَّيْلِ} . كان الصحابة أيضاً -رضي الله عنهم- يتذدون بقيام الليل، يقتدون بنبيهم، ويقتدون بعباد الله الصالحين الذين مدحهم بقوله: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ} فيقتدون بهم في هذا العمل الصالح، ويحبون أن يصلوا. كان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- يصلي كل ليلة الليل كله، إذا صلى العشاء كثيراً، وابتداً يقرأ القرآن من أوله من سورة البقرة، وإذا كان في آخر الليل وإذا هو قد ختم، ولا يقطع قراءته؛ إلا لسجادات التلاوة، ويجعل قراءته القرآن كله في ركعة وتراء. هذه صلاته. هكذا يقول بعض الصحابة: راقبت عثمان -رضي الله عنه- وإذا هو يقرأ، ثم يسجد، ثم يقوم فيقرأ ويقرأ ثم يسجد، ثم يقرأ ثم يسجد، وإذا هو إنما يسجد سجادات التلاوة. السجادات التي في القرآن: في آخر الأعراف، وفي الرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، إلى آخرها... فهكذا قيامه. عمر -رضي الله عنه- وكذلك أبو بكر كانوا يقومون الليل، وكانوا يقومون في آخره؛ يعني: الثالث الأخير من الليل، أو نحوه. كان أبو بكر -رضي الله عنه- يسر بالقراءة، فسئل عن ذلك، فقال: أسمع نفسي وأناجي ربي. يعني: أن ربي يسمعني، ولو كانت قراءتي خفية. أما عمر -رضي الله عنه- فإنه كان يجهر بالقراءة، فقيل له: لماذا؟ فقال: أوقفت الوستان، وأطرد الشيطان. يعني: أن القراءة بجهر توقيط الوستان الذي هو من المتناقلين. الوسن: هو النعاس ونحوه، وأطرد الشيطان. ولما كان كذلك كان الكثير من الصحابة -رضي الله عنهم- يحبون قراءة القرآن، والإكثار منه، منهم: عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- رأى رؤيا: أنه جاءه ملك، أو جاءه ملكان في المنام، وزهباً به إلى جهنم، ورأى النار. يقول: ورأيت فيها أناساً قد عرفتهم، فلقيني ملك فقال: لا تراغ، لن تراغ. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- {إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلًا صَالِحًا لَوْ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ} ؛ فكان بعد ذلك لا ينام من الليل؛ إلا قليلاً، كان يتجدد طوال ليله. ومنهم: عبد الله بن عمرو بن العاص ذكر للنبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقوم الليل، ويختتم في كل ليلة، يختتم القرآن في قيام كل ليلة؛ ولكن النبي -صلى الله عليه وسلم- رفق به، وعلم بأن ذلك قد يكلمه، وبشق عليه، فقال له: {اخْتَمِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ تَقْرَأْ سِعَ الْقُرْآنِ} . فكان في الليلة الأولى في ليلة الجمعة يقرأ البقرة وأآل عمران والنساء في ليلة واحدة في صلاة، وفي الليلة بعدها يقرأ من المائدة إلى آخر التوبية، وفي الليلة الثالثة من أول يومنس إلى آخر النحل، وفي الليلة الرابعة من أول الإسراء إلى آخر الفرقان، وفي الليلة الخامسة من أول الشعراء إلى آخر يس، وفي الليلة السادسة من أول الصافات إلى آخر الحجرات، وفي الليلة السابعة من سورة ق إلى آخر القرآن، كل ليلة يقرأ هذا في تهجمه، لا شك أن هذا دليل على أنهم يحبون قراءة القرآن في الصلاة ولا يملون.